تفريغ محاضرة

هل نحن عاجزون؟

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٢٦/١٠/١٤٤٢هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

هل نحن عاجزون؟

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، أما بعد:

في اللقاء الماضي تحدثنا عن أهمية متانة البناء، وعن حال قلوبنا بعد رمضان وما يجب علينا أن نفعله من شكر النعمة والتوبة من التقصير والمسارعة في الخيرات والثبات عليها، وفي خلال ذلك تحدثنا عن العجز وهو ما سيكون موضوع حديثنا اليوم.

روادنا كثيرًا في الفترة الماضية خلال الأحداث الأخيرة والسنوات السابقة أن العالم بأجمعه يعيش نوع من الانحطاط الأخلاقي لم تشهده البشرية من قبل،
وأصبح الشر هو الأساس والخير يُجرَّم، فعندما نتحدث عن الشذوذ أو اللواط مثلًا نراه أصبح هو الأمر الصحيح الذي تدافع عنه الحكومات وعندما يستنكره إنسان يُصبح هو المجرم!
فبمجرد الاستنكار أو كلمة بسيطة لهذا الشاذ تصبح أنت المجرم وفق القانون. وليس هذا فحسب، بل إن الأسبوع الماضي وضعت الأمم المتحدة قانون يعطي الطفل حرية الوصول إلى الأفلام الإباحية وأن منع والديه له يعتبر اعتداء على حق الطفل!
فهل تتخيلون طفل في الرابعة أو الخامسة من عمره يشاهد أفلام إباحية؟ ما هذه الجريمة في حق الطفل!
هنا يشعر الإنسان بالعجز أمام هذه القوانين التي تدفع البشرية إلى الانحطاط الأخلاقي، ومن جهة أخرى نرى الظلم الذي يُمارس على كثير من الناس في العالم وكثير من المسلمين سواء في الصين، وفي الهند، وفي مينمار، وفي فلسطين، الظلم والاعتداءات التي تُمارس عليهم وإخراج الناس من بيوتهم في غير وجه حق، والاستيلاء على أراضيهم وبلدانهم ومقدساتهم، وزهق الأرواح وهدم العمارات على من فيها، كل هذا دون حساب ولا عقاب، ولا تتحرك لهذا الأمم المتحدة.

فعندما يشعر الإنسان بالعجز تجاه هذه الأمور التي تحدث، وإن كانت تحدث في الغرب فنحن نعيش ارتداداتها، وأولادنا وبناتنا ليسوا في مأمن فنحن على اتصال بالغرب عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، فكل ما يحدث لديهم يأتينا من خلال هذه الوسائل،
فعندما نرى كل هذه الأمور نتساءل جميعًا فيما يمكننا فعله تجاه ما يحدث، ونشعر بالعجز، فهل كلمة أو تغريدة مني تغيّر من الأمر شيء؟ هل هذا كل ما هو مطلوب مني أم أن هناك شيء آخر أستطيع أن أفعله؟

لنبدأ من هذا السؤال ..

إن بعض الناس يقفُ متفرجًا عاجزًا فيقول: أنا إنسان بسيط لا أستطيع تغيير شيء مما يحدث وأنا مشغول في حياتي وعملي، وهذا التفكير السلبي هو أسوأ نوع من ردود الأفعال وهو كلام عارٍ من الصحة!

الحقيقة التي نريد أن نتعلمها اليوم من هذا الدرس ونتدارسها معًا هي أن هذا الكلام غير صحيح وأن علينا مسؤوليات ضخمة ولن يكون أحد منا في مأمن من السؤال عنها يوم القيامة،
ولهذا أتمنى من كل واحد منكم أن يأخذ ورقة وقلم ويُسجل معي هذه النقاط التي سنتكلم عنها لكي يتدارسها مع أهله وأصحابه ولكي نتوارث هذه المسؤولية جيلًا عن جيل ونتعلمها جميعًا فنحن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

سنتحدث اليوم عن ثلاث مسؤوليات أساسية تندرج تحت كل مسؤولية خمس مسؤوليات:

المسؤولية الأولى: مسؤوليتك عن نفسك.

فلا يُمكن أن نبدأ بأي مسؤولية أكبر من هذه، فلا يوجد تغيير أكبر من تغيير أنفسنا، ولهذا يجب أن نبدأ بها وقسمتها إلى خمس مسؤوليات لكي تكون سهلة في الحفظ والذكر:

1. رفع الجهل.

المسؤولية الأولى تجاه النفس هي رفع الجهل عنها، وهذه المهمة لا تتوقف بالتخرج من المدرسة أو الجامعة ولا حتى شهادة الدكتوراة، فنحنُ مطالبين برفع الجهل عن أنفسنا باستمرار حتى يتوفانا الله - عز وجل -،

فمتى اعتقد الإنسان بأنه وصل للكمال فقد وصل حقيقةً إلى الجهل، وقد كان الإمام أحمد يمشي ويمر بالمحبرة على حِلَق طلابه الذين أصبحوا الآن يُدرِّسون، فيقولون له: **يا إمام، إلى متى؟ - أي إلى متى تجلس لتحضر حِلق العلم وتستمِع؟** - فقال الإمام: **لعلّ الكلمة التي تنجيني لم أسمعها بعد.**

هذا وهو المعلم وهم طلابه الذين درسوا على يديه جزمًا لن يكون هناك كلام جديد عليه فهم يرددون كلامه، ومع ذلك يقول مقولته هذه، لذا فنحن مسؤولون عن رفع الجهل عن أنفسنا بالعلم، وهنا لا أقصد العلم الاجتماعي والسياسي والأكاديمي، بل العلم الشرعي لأنه هو الذي يُثبِّت الإنسان في زمن اختلاط المفاهيم.

فمثلًا لو أنك تحاول أن تُقنِع أحدهم باتباع حمية معينة مثل الكيتو أو الديتوكس، وإذا به يرفض الفكرة نهائيًّا فكيف يتخلى عن السكريات والنشويات؟ كيف يعيش دونهم؟ ثم تعطيه رابط يجد فيه فوائد هذه الحمية، فيقرأ عن فوائدها للكلى وتنقية الذهن والدم ونضارة البشرة وصحة الجهاز الهضمي، فإذا به يتحول من عدو لهذه الحمية إلى أشد الناس مناصرة لها، وما بين هذا وذاك إلا قراءة المعلومات التي زودته بها، فالإنسان عدو ما يجهل، وإذا أردت أن تغير مخرجاتك وتصبح إنسان أفضل، فيجب عليك أن تُغيِّر مُدخلاتك، فتغيِّر الأشياء التي تقرأها وتستمع لها لتكوّن ثقافتك، فالإنسان لا يتحول بمجرد اتخاذ قرار بل يتغيّر بتغيير مدخلاته.

ولهذا نرى الكاتب المعروف المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي كان من أعلام الفكر الإسلامي والذي ساهم في تحرير الجزائر بانضمامه إلى الشيخ بن باديس، عندما يتحدث عن طفولته كان يدرس في مدارس فرنسية ونشأ في جيل لا يتحدثون إلا الفرنسية حيث دام الاستعمار الفرنسي للجزائر ١٠٠ عام، **فيقول: كدت أتحول إلى فكر ديكارتي لولا حفظ الله وأني كنت أتردد على دروس الشيخ فلان الذي كان يعطينا في التوحيد والسيرة النبوية مما حماني من الانجراف في الأدب الفرنسي**، وهذا مُدخل واحد ساهم فيه والداه حين أرسلوه لحلق العلم مع هذا الشيخ وأرسلوه أيضًا إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، وهذا هو ما حافظ عليه وعلى فكره، فتخيل لو أنك الآن تُدخِل ابنك لمدرسة عالمية، حينها كل المدخلات التي ستدخل له ستكون من الثقافة البريطانية أو الفرنسية وأنت تظن أنه فقط يتعلم الرياضيات والعلوم واللغة الإنجليزية ستصبح قوية لديه، ولكن الكثير يغفلون عن الجانب الآخر وهو الثقافة، ولهذا يحتاج الطفل في هذه الحالة إلى مُدخلات أخرى مثل دروس القرآن واللغة العربية ودروس أخرى تقوم على تربيته وتقويم فكره.

إذًا مسؤوليتنا الأولى تجاه أنفسنا هي تغيير المدخلات وطلب العلم من المهد إلى اللحد.

2. <u>تهذيب النفس وتزكيتها وتعبيدها لربها.</u>

المسؤولية الثانية اتجاه النفس هي العمل على تهذيبها وتزكيتها، وقد يقول البعض إن هذا أمر غير جديد فهو يحاول أن يكون نسخة أفضل من نفسه دائمًا، ولكننا لا نقصد هذا، فحين نقول تعبيدها لربها فما معنى تعبيد؟

حين نقول هذا طريق معبّد نعني أنه كان مليء بالشوك أو الشجر والحجر فتم إرسال سيارات كبيرة تحمل هذه الصخور وتمهد هذا الطريق حتى يصبح معبّدًا وصالح للمرور فوقه،

ولهذا فحين نقول إن الإنسان يجب أن يعبد نفسه لله فنحن نعني أن يزيل العوائق وكلنا نعرف النقاط السلبية الموجودة فينا،

كسرعة الغضب أو عدم تثمين الكلام وقول كلام جارح، فهل نعترف بوجود هذه الصفات ونتعايش معها؟

لا، **بل من مسؤوليتنا أن نهذب أنفسنا، وهذا على الصعيد الأخلاقي، أما بالنسبة لعلاقتك مع ربك كأن تبدأ بشيء في رمضان مثلًا ثم لا تستمر،** فمثلًا يمضي شوال دون أن تصوم الست، وتصبح صلاتك باردة دون خشوع، فتفتر علاقتك مع ربك وتتوقف عن الأعمال الصالحة، فهل يصح هذا؟ ما الذي يؤخرك عن الله - عز وجل -؟ لماذا لا تزال كما كنت قبل خمس سنوات؟ إذا كنت تستطيع أن تكون أفضل مما كنت، فلماذا لا تزال على حالك؟ ما الذي يؤخرك؟

هذه الأسئلة عندما نسألها لأنفسنا ونضعها نصب أعيننا يصبح من الأسهل علينا أن نلتمس هذه النقاط ونصلحها.

3. <u>العمل على صلاح القلب وحمايته.</u>

المسؤولية الثالثة تجاه النفس هي العمل على صلاح القلب وحمايته، والقلب غير ظاهر لنا لكي نصلحه فهو بداخلنا والطريقة الوحيدة للوصول له هي السمع والبصر، وهنا نعود لنقطة تغيير المدخلات التي ذكرناها آنفًا،

<u>فصلاح القلب يكون بصلاح المدخلات له،</u> فماذا تسمع؟ وإلى ماذا تنظر؟ على المرء أن يحمي بصره من كل منظر سيء كالنظر إلى المرأة والرجل في لقطة من اللقطات، أو أي لقطة ممكن أن تجرح في إيمانه، وأن يحمي أذنه من الغيبة والكذب والغناء الفاحش وأي شيء حرمه الله - عز وجل -،

<u>فلا سبيل لصلاح القلب دون الحرص على صلاح ما نسمعه ونراه، وابحث في القرآن الكريم ستجد أن الله - عز وجل - لا يأتي بكلمة القلب إلا ويأتي معها بكلمة الأذن والبصر،</u>

ولهذا متى ما أطلقت لعينك وأذنك العنان فتركت بصرك يرى أي شيء وأذنك تسمع أي شيء فسترى قلبك يصبح شذر مذر متقطع في كل مكان، فتكبّر للصلاة وعينك تدور بكل اللقطات التي شاهدتها أو الحسابات التي مررت عليها، فيصبح هذا هو ما يشغل ذهنك، فاسأل الله ألا يختم لك بهذه الخاتمة وأن يشغل ذهنك بالخير.

4. العمل على فكاك رقبتك بفعل الخيرات وترك المنكرات.

المسؤولية الرابعة تجاه النفس هي العمل على فكاك الرقبة بفعل الخيرات وترك النكرات، وقد نرى هذا الأمر بديهي ولكننا هنا نريد التركيز عليه واستشعار أن هذا الأمر يجب أن يشغل أيامنا، فنحن نعيش ٢٤ ساعة في اليوم يجب أن تكون مليئة بالإنجازات، لأن العمر يمضي ونحن نقترب أكثر مع كل يوم للقوس النهائي،

فولادتنا هي القوس الأول ووفاتنا هي القوس الثاني، ولهذا فمع كل غروب شمس نحن نقترب من نهايتنا أكثر، ويجب علينا أن يكون لنا نصيب من كل خير نسمع به،

فهذه امرأة تقول أنها جربت الصدقة في رمضان وتفاجأت بأن الله - عز وجل - يخلفها مباشرة، **قال تعالى: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)(سبأ:٣٩).**

فتقول إنها رأتها بعينها وبطريقة غريبة لم تكُن تتخيلها فكلما أنفقت شيئًا لله أخلفه الله لها مباشرة، وليست بصلاح الزوج أو الأبناء بل يخلفها مالًا، تدفع 500 ريال فتأتيها ألف ريال، وتدفع ألف ريال فيأتيها ألفين، وهكذا.

فتقول بأنها عندما رأت الله تعالى يخلفها مباشرة، استحت من الله - عز وجل - فأصبحت تتصدق يوميًا والله يخلف عليها يوميًا، وشعرت بأن هذا اختبار من الله - عز وجل - فجعلت على نفسها عهدًا أن تتصدق بالليل مرة وبالنهار مرة، ورأت من توفيق الله - عز وجل - ما يفوق الحديث عنه، فكانت تتحدث وهي مبهورة وتقول أنها كانت تعرف أن المال لا ينقص من الصدقة ولكن غير المعروف هو أن ترى هذا أمام عينها والله يخلفها بشكل مباشر،

وكانت تحكي قصتها لتبيّن للناس أن الله - عز وجل - يخلف خيرًا، فهذه امرأة تتصدق ليل نهار، وماذا عنا نحن الذين نتصدق مرة في الشهر أو السنة ونشعر بالرضا عن أنفسنا؟

وهذا هو ما نقصده في هذه المسؤولية، أن نملأ يومنا 24 ساعة بعمل الخير، فتصعد أعمال الخير نهارًا وتصعد ليلًا مثل هذه المرأة التي لا تقبل أن ينتهي النهار أو الليلة دون أن تتصدق فيها.

5. العمل على الثبات.

المسؤولية الخامسة تجاه أنفسنا هي العمل على الثبات، فقد يكون من السهل فعل الخيرات كأن تتصدق في رمضان ليلًا ونهارًا ولكن الصعوبة قد تواجهك في تثبيت هذا العمل والاستدامة عليه، وكذلك صلاة التراويح وقيام الليل في المسجد مع الإمام،

فتخيل حين يذهب الجميع للنوم وهم مرهقين فيقوم أحدهم يتوضأ ويصلي ركعتين ويوتر ويدعو الله بدعوات حارة قبل أن ينام، وقد لا يستطيع أن يقوم ساعات طويلة أو يقوم بسورة البقرة ولكنه يقوم بالنبأ والقيامة ويدعو الله - عز وجل - أن يوفقه ويستشعر تقصيره، وهنا نتذكر الحديث **"ومن قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين"**، وهذا من كرم الله - عز وجل - فمن قام بعشر آيات لا يُكتب من الغافلين، والعمل على الثبات أمر مهم جدًا جدًا،

ففي فجر اليوم ودعنا الأب والمعلم والأخ صاحب الأيادي البيضاء علينا وعلى أهل الشرقية، فمن منا لا يعرف الدكتور صالح الحميدان - رحمه الله - صاحب الأيادي البيضاء على الكثيرين والذي لم يكُن يرُد طلبًا سواء من عمل الدنيا أو الآخرة إلا وكان من أسرع المتواجدين، فهذا الشخص كتب الله تعالى له أن يموت فجر هذا اليوم في سجوده في سنة الفجر قبل أن يذهب لصلاة الفجر، فهل نتخيل هذه اللحظات؟

يتسنن لصلاة الفجر ثم يخر ساجدًا وتُقبض روحه وهو على هيئة السجود، وعندما حضرت سيارة الإسعاف وحاول المسعفون حمله، لم يستطيعوا حمله دون السجادة فقد كان متشبثًا بها بقوة، من عاش على شيئٍ مات عليه، ومن مات على شيءٍ بُعِث عليه، فيُبعَثُ يوم القيامة على هيئته التي مات عليها، وهذه الخاتمة ليست بالشيء البسيط ولا تُشتَرى بأموال الدنيا، ولكن نحتاج إلى عمل وثبات على العمل الصالح كي يُختم لنا بهذه الخاتمة،

فالدين ليس بالحماسة، ولا يكون في شهر واحد فقط مثل رمضان ثم نتركه، وتحدثني ابنة الدكتور صالح فتقول أنه كان يحب الصلاة ويحب لقاء الله فلعلَّ الله - عز وجل - أحب لقاءه، وتقول إنها حين تقول لابنها أن يذهب معه المسجد يقول: لا جدو يطول يروح الصلاة بدري وما يطلع منها إلا متأخر، فهذا كان دأبه مع الصلاة بالرغم من انشغاله الشديد من انشغالات دنيا وحاجات ناس، ومع ذلك

هكذا كانت علاقته مع المسجد فكتب الله - عز وجل - أن تكون خاتمته هكذا فيلقى الله تعالى وهو ساجد،

وهذا ليس بالأمر الهين، ولذلك دائمًا ندعو عند باب الكعبة في الطواف أن يقبضنا الله - عز وجل - ونحن في السجود، وهنا تكمن أهمية الثبات والعمل على الثبات، **تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي عليه الصلاة والسلام" :إذا عمل عملا أثبته ."رواه مسلم**، أي أنه إذا عمل عملًا أثبته وحافظ عليه.

قد يقول أحدهم أن هذه المسؤوليات غير مقنعة وأن تهذيب النفس غير واجب فتكفي المحافظة على الصلوات الخمس فقط، **والله - عز وجل - يقول في القرآن:(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10))(الشمس).**

قد أفلح تعني نجح وفاز، والفلاح هو قمة الفوز، فمن هذا الذي أفلح يوم القيامة؟ هو الذي زكَّى نفسه، والتزكية هي النماء والطهر، فالدوام على الأعمال الصالحة فيه تطهير للنفس،

وقد خاب من دساها، والمدس هو مكان تخبئة الأشياء مثل الشنطة أو الجيب فبعض الناس يسمون الجيب "المدس"، والمقصود هنا بكلمة دساها هو أنه خائف من نفسه فيخبئها طوال الوقت من الشرور والسواد الموجود فيها،

النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم" رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

فإذًا ستسأل عن مالك من أين جاء وكيف اكتسبته وفيمَ صرفته، وستُسأل عن عِلمك ماذا فعلت به، وعن شبابك كيف قضيته، فيجب عليك أن تُعِدَّ الجواب،

وعندما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تزول قدم ابن آدم، أي أن أقدامنا التي نمشي فيها اليوم لن تتحرك يوم القيامة من أمام الله - عز وجل - إلا بعد أن نُسأل عن هذه الأربعة، فماذا ستقول يوم القيامة؟ كنتَ لاهيًا فيه الحياة؟

تذكر أنك لن تُسأل عن مشيبك ولا طفولتك، بل عن شبابك بالذات حين كنتَ في قمة صحتك وقمة الفراغ والقدرة على البذل، فماذا فعلت؟

ثم **يقول الله - عز وجل -:﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(التكاثر:٨)**. قال العلماء في تفسير هذه الآية لتُسألنَّ عن الماء البارد، فيجب على الإنسان ألا يعتقد أن الأمن والأمان والحياة الرغيدة التي نعيشها دون أن نحمِل همَّ الغد وكل مخاوفنا بسيطة لا تُقارَن بمخاوف الشعوب الأخرى التي يُمَارس عليها الظلم ليلًا ونهارًا، فسنُسأَل عن هذا النعيم والماء البارد الذي هناك من لا يستطيع الوصول إليه، فالبعض لا يجدون إلا الماء العكر الملوَّث،

ولنتذكر الدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - وحديثه عن أفريقيا حيث لا يجدون الماء النقي ولا يوجد سوى ماء البحيرات التي فيها طحالب وجراثيم، ولهذا فكُل إنسان مسؤول عن نفسه ولن يُفلح إلا من زكَّى نفسه وأعد الإجابة على الأسئلة الأربعة، فابدأ اليوم وأعِدّ جوابك.

المسؤولية الثانية: مسؤوليتك تجاه مجتمعك.

والمقصود هنا مجتمعك الخاص أسرتك وأبناؤك وزوجك، وكذلك المجتمع الذي تختلط فيه من موظفين معك في العمل تختلط بهم يوميًا، أو زملاؤك وأصدقاؤك، فلديك مسؤولية اتجاه هذا المجتمع الذي تختلط به كثيرًا، ونقسمها إلى خمس مسؤوليات:

1. أن تكون واعٍ بما يحدُث من حولك.

من مسؤولياتك أن تكون واعٍ بما يحدث حولك وتخبر من حولك بترصد العالم بسلبياته وإيجابياته، وتتفرس في وجوههم هل هناك من تغيَّر للأفضل أو للأسوأ،

فيجب عليك أن تكون منتبه وحذر فارتداد هذا الأمر سيكون عليك، فإذا رأيت أحد أقربائك يتنازل عن دينه في بعض الأمور فكُن حذِرًا لأنك لا تضمن ثباتك!

فإذا خلعت ابنة عمك النقاب ثم الحجاب فاحذري، فالتغيير يكون مثل لعبة الدومينو، يسقط مربع ثم يليه الآخر والآخر حتى يسقط الجميع، فقد تكون أنت رقم ١٠٠ وتظُن أنك بمأمن ولكن عندما تسقط المئة قطعة التي قبلك فلا تضمن ثباتك عندما يصلك الدور،

فحينها سينظر إليك الآخرون على أنك المخطئ ويُشعرونك بأنك متخلف وهنا لا تضمَّن نفسك، ولهذا **فأول مسؤولية تجاه مجتمعك هي أن ترصد سلبيات وإيجابيات هذا العالم الذي يتغير من حولك**، لأنك لو تجاهلته واعتقدت ألا دخل لك بما يحدث من حولك، وتجاهلت أخطاء الآخرين من حولك بعُذر ألا تخسرهم، فستجد نفسك وصلت إلى مرحلة لا تستطيع المقاومة فيها، فعدد المتساقطين لهذا التغيير في العالم يزداد، والشهوات وهوى النفوس تحيط بالناس من كل جانب، والحرام يصِل إلى شاشات الجوالات والآيباد التي بين أيدينا، فمَنْ منا عنده عفة يوسف - عليه السلام - حتى لا ينزلق في هذا؟؟

2. رفع الجهل عنهم.

المسؤولية الثانية تجاه مجتمعك هي أن ترفع عنهم الجهل، **قال - عليه الصلاة والسلام -:"بلغوا عني ولو آية" رواه البخاري،**

فليست مهمتنا أن نسعى لرضى الآخرين عن طريق الامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعندما نرى أحدنا يسير في الطريق الخاطئ فمن واجبنا تقديم النصح من باب المحبة والخوف عليهم، ولا خير فينا إذا كنا نرى الناس من حولنا تقع في الحرام ونحن نشاهد دون أن ننصحهم،

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:"الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم" رواه البخاري.

وهذا من الأحاديث الأربعين النووية، الدين النصيحة ويجب علينا أن ننصح وننصح بعضنا البعض، وأن نرفع الجهل عن من حولنا، ولا يكفي أن نرمي كلمةً على استحياء ثم نعتقد أننا أدينا الواجب، بل

يجب علينا أن نتحدث في كل مرة نرى فيها أمر لا نرضى عنه، **قال تعالى:(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ)(النحل:١٢٥)،**

فالحكمة مطلوبة وما يناسب إنسان قد لا يناسب إنسان آخر، ولكن من المهم جدًا أن ننصح بعضنا، ومن الجيد أيضًا أن نستبق الأحداث برفع الجهل عنهم قبل أن يقعوا في الخطأ، وإن كنتَ تستحي أن تُعلِّم الكبار، فعلِّم الصغار،

أعجبتني إحداهن حين طلبت كتاب "حلية الوقار" لكي تقرأه مع أبنائها في الإجازة، وهم أطفال في حدود أربع وست سنوات، وهذا الكتاب عبارة عن حديث وفوائد فقط، وهي بهذا تفتعل نقاش حول هذه الأحاديث وتربطهم بالرسول - صلى الله عليه وسلم -،

فكتاب "حلية الوقار" و"الرجل النبيل" وغيرها من الكتب التي تحكي مواقف الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأيضًا كتاب أسماء الله الحسنى لعلي الفيفي وغيرها من الكتب التي تحوي مواقف بسيطة وتكون مناسبة للأطفال، تساعد على تأسيس الأطفال قبل دخولهم للمرحلة القادمة التي قد يصعُب فيها التوجيه، فالتأسيس في البداية أسهل، ويجعل الطفل يتقبل التوجيه مستقبلًا، بعكس الطفل الذي لم يتم تأسيسه بشكل جيد فيتفاجأ عندما يكبُر، فمثلًا الطفلة التي تتعلم من صغرها عن الحجاب والستر يسهُل عليها ارتداء الحجاب حين تكبُر، بينما يكون الموضوع صادم للطفلة التي لم تتأسس على هذا فنراها تمتنع عن الحجاب بحجة أنه شيء لم تعتَده ولم تكبُر عليه، وهذا ما يسميه الأجانب " Quality time - وقت الجودة"، فهو الوقت الذي تفتعل الأم فيه نقاش مع أبنائها وتسمع منهم وتعلق عليهم، وهذا جزء من المدخلات التي تحدثنا عنها سابقًا،

فأبناؤنا يتلقون مدخلات كثيرة من القنوات والحسابات ويصل إليهم كم هائل من المعلومات، ومن واجبنا أن نتدخل ونحرص على إيجاد مدخلات مفيدة في تربيتهم لكي نرفع الجهل عنهم.

3. العمل على صلاحهم وتربيتهم

أهل السنة هم أرحم الخلق بالخلق، وهذه الرحمة تتعدى مجرد إرسال فتوى لهم لكي يعلموا الصواب من الخطأ فقط، بل تدعوهم هذه الرحمة إلى العمل على صلاحهم وتربيتهم، وهذا ليس في تربية الأبناء فقط، بل وحتى الزميلات والأقارب،

فالتربية أنواع هناك تربية بالمقال وتربية بالكلمة وتربية بالموقف والقدوة، فمثلًا حين يحدث موقف في العمل مع المدير ويبدأ أحدهم بالغيبة فتقف أنت وتدعوهم بأن تقول: أنا متضرر مثلكم ولكن دعونا نكون عادلين، **قال تعالى:(... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ...)(المائدة:٨).**

وبهذا تكون عونًا لهم لأن يعدلوا وهذا نوع من أنواع التربية،

فبمجرد وقوفك في هذه اللحظة فأنت أمسكت نفسك من الانجرار معهم في الغيبة وأعطيتهم درسًا عن التعامل في مثل هذه المواقف، فالمواقف هي خير سبيل للتربية، فحين تنهاهم عن الغيبة في كل مجلس فأنت تربيهم،

وحين يدعونك للطعام فتقول: إني صائم، فأنت تكون قدوة لهم وحين يحدثونك عن حر الصيف وصعوبة الصيام تحدثهم عن أجر الصيام وكيف أن صيام يوم واحد فقط يباعد بينك وبين النار سبعين خريفًا،

وحدثتني إحداهن، وهي تعمل في أرامكو، فقالت أنها تصوم الإثنين والخميس بفضل زميلة لها في العمل كانت تصوم كل إثنين وخميس، فتقول إنها كانت تعتقد أن صيام الإثنين والخميس للكبار وربات البيوت ليس لمن يعمل من السابعة صباحًا حتى الرابعة مساءً!

ولكنها تفاجأت بهذه الزميلة التي عمِلت معها فترة وجيزة قبل انتقالها، **وتعلمت منها الصيام رغم أنها لم تنصحها ولم تدعُها إلى الصيام أبدًا، فقط كانت قدوة**، والآن صيام هذه المرأة في ميزان حسناتها وقد تكون لا تعلم بأن هذه المرأة تصوم بسببها ولا تعلم بهذا الأجر الذي كسبته.

ثباتك على موقفك حين يتغير الجميع له تأثير قوي، فحين تثبت إحداهن على عباءة الرأس والنقاب في حين تركه كل من حولها، وحين تستمر رغم كل محاولاتهم ودعوتهم لها بخلعه، فهي تؤثر عليهم تأثير كبير بثباتها حتى وإن لم ترَ أثر هذا التأثير، وموجة السفور هذه ستمضي، ولكنها ستمضي بعد أن ينكشف عند الله من الذي ثبت ومن الذي تراجع، وقد يعود الناس للستر ولكن شتان بين من ثبَت في المرحلة الصعبة وبين من تراجع ثم عاد،

ونسأل الله أن يهدي الجميع، ولذلك من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله شاب نشأ في طاعة الله،

فعندما أخذ البعض طريقًا طويلًا ملتوي ومليء بالتردد ومحفوف بالمعاصي، ظل هذا الشاب مستقيمًا على طاعة الله لا يرجو بذلك إلا ما عند الله، ولذلك يكرمه الله - عز وجل - ويجعله من الذين يظلهم تحت عرشه يوم القيامة.

4. العمل على توجيه الطاقات واستخراج المواهب.

المسؤولية الرابعة هي أن نعمل على توجيه الطاقات واستخراج المواهب لمن حولنا، فنحرص على أن نتخذ هدفًا أكبر من مجرد الحديث عن هذا وذاك في اجتماعاتنا، ونحاول أن نعرف مميزات كل شخص وتشجيعه على استغلال طاقته ومواهبه في الخير،

فلو كان لديك زميل عمل يكتب الشعر ممكن أن تطلب منه كتابة بيتين شعر عما يحدث في المجتمع، وقد تكون مصدر إلهام لمن حولك بهذه الطريقة، فالكثير يملكون مواهب ولكنهم يحتاجون لـمَنْ يُمدُّهم بالأفكار والأهداف النبيلة لكي يسيروا في هذا النهج، وقد يكون لديك زميل آخر يتميز في التصميم فتطلب منه بعض التصاميم لنشرها على الواتس آب، وتكون بهذا ساعدته على عمل خير يُشعِره بالإنجاز،

وهناك كتاب أجنبي عنوانه "لا تهتم بصغائر الأمور، فكل الأمور صغائر" يدعو إلى عمل أمور صغيرة كأن تسقي نبتة كل يوم، فحين تسقيها أنت تشعُر بالعطاء وأنك تُعطِي الحياة لهذه النبتة فتشعُر بالرضى،

وهم يبحثون عن الرضى في أبسط الأشياء لأن النفس الإنسانية بحاجة إلى هذه المشاعر، وهناك شاب توفي في الدمام، فيقول زملاؤه أنهم احتاجوا إلى عشرين شخص ليسدوا مكانه في الأعمال التطوعية، فهل تتخيلون كيف كان هذا الإنسان يسُد عشرين ثغرة؟

ولهذا من المهم أن تتفرس في وجوه من حولك وتعزز مواهبهم وتدعوهم للبذل والعطاء، فالبعض يملك مواهب كبيرة ولكنه في غفلةٍ عنها،

وهناك مثل جميل يقول (في كل إنسان قطعة سكر موجودة في الداخل، هي فقط تحتاج إلى تحريك)، فالناس ليسوا بهذا السوء ولكنهم فقط يحتاجون من يُحرّك قطعة السكر التي بداخلهم.

5. تحبيبهم في الدين.

المسؤولية الأخيرة تجاه مجتمعنا الخاص وهي أضعف الإيمان، هي أن نحببهم في الدين، فنحوِّلهم من أشخاص لديهم موقف عدائي تجاه الدين إلى أشخاص على الأقل يحبون الدين "أحب الصالحين ولست منهم"،

فنحن الآن في زمن نرى العالم كله متوتر ضد الإسلام ونرى هذا في فرنسا وأمريكا وغيرها من الدول، وهذا قد يكون من علامات الساعة **"لا تقوم الساعة حتى ينقسم الناس إلى فريقين فريق إيمان لا كفر فيه وفريق كفر لا إيمان فيه" "حتَّى يَصيرَ النَّاسُ إلى فُسطاطَينِ: فُسطاطِ إيمانٍ لا نِفاقَ فيهِ، وفُسطاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيهِ"**،

أي: حتَّى يَنقسِمَ النَّاسُ في تلكَ الفِتنةِ إلى فَرِيقَينِ: فريقِ إيمانٍ خالصٍ، وفريقِ نِفاقٍ خالصٍ"، فالأحداث تميز الناس فمن المهم أن نصحح الفكر المغلوط لدى الناس عن الإسلام والمتدينين، فهذه وظيفتنا نحن،

كل إنسان يعرف شيء عن الإسلام يجب أن يكون خير سفير، فحين نسافر يجب أن يكون لنا دور في التعريف عن الإسلام، وتغيير ما يعكسه الإعلام من صور مغلوطة عن الدين في المسلسلات وتشويههم لصورة الإنسان المتدين والمسلمين بشكل عام،

وهذه وظيفة أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أن تحافظ على صورة الإسلام فإذا لم تدعُ أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام، فمن سيدعو؟

أهمية المسؤولية تجاه المجتمع:

ممكن أن يعترض أحدهم ويقول، أنا مقتنع بمسؤوليتي اتجاه نفسي ولكن ما علاقتي بالآخرين؟

قال تعالى:(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ((المائدة:٧٨)، فماذا كانوا يفعلون؟ (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)(المائدة:٧٩)،

يقول ابن كثير عن هذه الآية: كانوا يأكلون الربا صباحًا ثم يؤاكلون بعضهم البعض مساءً، فكانوا يفعلون الربا ويفعلون الزنا صباحًا ومساءً دون أن يتناصحوا،

فهؤلاء لُعِنوا على لسان داوود وعيسى ابن مريم لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، فاللعنة لم تُصِب الذين عصوا فقط بل وحتى الذين لم يفعلوا المعصية ولكنهم لم ينهوهم، فقد لا تفعل المعصية ولكنك تراها ولا تنهى عنها وقد لا ترمش عينك حتى،

والبعض قد يكون مؤيد للمعصية أيضًا، فهذا الذي يرضى بالمعصية هو شريك في الذنب، **يقول النبي - عليه الصلاة والسلام - :"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا"، رواه البخاري.**

أي أنهم كلما أرادوا ماءً ذهبوا لمن فوقهم، ففكروا أن يخرقوا السفينة كي يأتيهم الماء بسهولة، وهذا مثل الواقعين في حدود الله والقائمين عليها، فهناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهناك من يخوض في المنكر، فإذا تركوهم غرقت السفينة!

ويقول الله - عز وجل-:(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤))(الأعراف)،

وهذه قصة أصحاب السبت المعروفة وهي قصة حياة متكررة، أناسٌ يعصون الله - عز وجل -

ويفعلون المنكرات وآخرون ينهونهم، ثم تأتي جماعة صامتة من الناس تنهى الذين ينهون عن المنكر!

فتقول لهم لِمَ تنهونهم وقد تغير المجتمع وهذه صفقة تجارية رابحة ونحتاج أن نسترزق فدعوهم وما يفعلون واسكتوا عنهم، فيقول الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون، ويقول الله تعالى في نهاية القصة:**(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)(الأعراف:١٦٥)،**

فالذين نهوا عن المنكر نجَّاهم الله - عز وجل - عندما أنزل العذاب على هذا البلد، فهؤلاء كانوا يأخذون من حياتهم واهتماماتهم ومشاعرهم ويحاولون الإصلاح وينهون عن المنكر، وأما الفئة الصامتة سكتوا فسكت الله عنهم فلا يُدرى ما مصيرهم! ولا نعرف هل عُذِّبوا أم نجوا، ولكن كما قال أحد الشُراح: **لم يكُن لهم شرف الذِّكر حتى، فهم لم يُذكروا في الآية ولا نعلم ما حصل لهم لأنهم رضوا بالسكوت.**

المسؤولية الثالثة: مسؤوليتك تجاه العالم.

رسالة المسلم واسعة لا تقف عند نفسه أو أهله بل تتسع للعالم أجمع، ولكل واحدٍ منا مسؤولية كبيرة تجاه العالم.

6. معرفة قضايا المسلمين والاهتمام بأمرهم.

من المهم أن نعرف قضايا المسلمين في كل مكان، هل هناك من يُؤذى؟ هل هناك من يُظلَم؟ هل هناك من يُعذَّب من أجل دينه؟ من أجل لا إله إلا الله؟ هل قرأتَ عن مسلمي الأويغور؟ هل عرفت ما يحدث لهم من تعذيب في المعتقلات؟ هل أخبرت أبناءك عن بطولاتهم؟ وأئمتهم الذين تمسكوا خلال مئات السنين والصين تعتقلهم وتُحضر أشخاص من أقليَّات الهان ليعيشوا معهم في بيوتهم، وتنزع الحجاب عن أخواتنا المسلمات وتُفطّرهم في نهار رمضان؟ أفلا يحصلون على دعوة واحدة منك على الأقل؟

فحينما نتحدث عن قضايا المسلمين واهتماماتهم فهذا جزء من دينك! وسنأتي بعد قليل على الأدلة، إذًا عندما نتكلم عن مسلمي الأويغور أو عن مينمار أو فلسطين وماذا يحدث فيها، فلا يُمكن أن يكون هناك إنسان صحيح الدين وصحيح العقيدة ويقول فلسطين ليست قضيتي!

لا يُمكن، هذه أرض مسلمة إسلامية ومسرى النبي - عليه الصلاة والسلام - والمسجد الأقصى يُعتَدَى عليه ويُقتَحَم ثم يقول هذه ليست قضيتي ولا علاقة لي فيها!

لا يمكن أن يكون إنسان صحيح العقيدة ثم لا يتحمَّل هذه القضية! إذًا معرفة قضايا المسلمين جزء لا يَتَجزَّأ من كونك مسلم، فالقضية ليست مجرد معرفة ما يحدث وإشباع فضول ومتابعة سياسية أو جغرافية فقط، لا بل يجب أن تؤدي هذه المعرفة إلى نصرة الإسلام وهي المسؤولية الثانية.

7. استفراغ الوسع في نصر الإسلام.

المسؤولية الثانية تجاه العالم هي أن تستفرغ وسعك في نصر الإسلام في أي بلد مغلوب وأن تُعين على ذلك بقدر ما تستطيع بنصر الإسلام في أي بلاد،

فقد تكون بلاد مظلومة أو بلاد فقيرة، تعجبني واحدة من الفتيات التي تُدهِشني ردود أفعالها، كلنا تقريبًا شاهدنا المقطع الذي عملته إحدى القنوات عن الفقر في الهند وكان عن قرية مسلمة بالذات وأغلبها نساء مع أطفالهم لأن الرجال ذهبوا إلى المدينة للعمل، فبقيت النساء في أشباه بيوت فيما نسميه هنا صندقة!

فيها خمسة أو ستة منهن لا يجدون ما يطعمون أطفالهم سوى حليب الأم، وفي المقابلة قالت إحداهن أن طفلها لم يرضع منذ يومين أو ثلاثة لأنها هي نفسها لم تأكل شيئًا، وكان الطفل يبكي طوال المقابلة، وعندما نشاهد مثل هذه المقاطع ونرى هنديات في الهند يلبسون الساري، نحمد الله على النعمة وندعو الله أن يكون في عونهم وننتهي هنا،

أما الفتاة التي أحدثكم عنها عندما شاهدت المشهد لم تُفكِّر مثلنا، مباشرةً ذهبت تتصل على إحدى زميلاتها وقالت لها: ألستِ تريدين أن تعملي مشروع؟ قالت: نعم، - المشروع هو عبارة عن تطريز أو شيء من هذا القبيل -، فقالت لها: ما رأيكِ أن نفتح هذا المشروع في الهند؟ في هذه القرية بالذات، نذهب ونعمل المشروع وستكون العمالة أرخص ومن جانب آخر نساعد هؤلاء النساء على العمل ونفتح بيوت!

ولا أعلم هل فتحوا المشروع أم لا ولكن بغض النظر عن ذلك نحن نتحدث عن تحمّل المسؤولية وتحول المعرفة إلى شيء ننصر فيه ديننا، وحين نتحدث عن هذا قد نرى المسافة طويلة وبعيدة ولكن ما الذي يمنع؟

ما أكثر ما يسافر الناس في الصيف والآن لدينا ٣ فصول دراسية في السنة وفيها إجازات وكم سيسافر الناس فيها، ولكن شتان بين من يسافر للسياحة دائمًا وبين من يملك رسالة وهم ويحاول أن يفتح بيوت وينقذ هؤلاء المسلمين الذين هم إخواننا وأخواتنا من الفقر، بما استطاع سواءً في التفكير أو في العمل.

ونرى بعض المتاجر مثل (ذا بودي شوب) الذي يبيع المستلزمات الطبيعية، ومتجر آخر (قاب) أو (توني) أو غيرهم، هذه ليست متاجر عادية فعندما تأخذ من عندهم قطعة ترى القصة مكتوبة في الخلف: هذه الليفة من نيجيريا تقوم بها النساء النيجيريات، أو هذا الصابون من بلدة غانا تقوم عليها قُرى فقيرة،

وبالفعل عندما تقرأ عن قصة صاحبة (ذا بودي شوب) تراها تسافر لهذه البلدان الفقيرة لكي تُحيي بها هذه البيوت، وبالطبع قد يكون التفكير مادي ولأن العمالة والمواد هناك أرخص ولكن النتيجة أنه أصبح هناك مصدر رزق لتلك القُرى،

ووجود مصدر الرزق يعني الأمان ويفتح مجال للتعليم فالإنسان المشرد الجائع الظمآن لن يسمع منك إذا حاولت تعليمه الصلاة أو الدين، فهو لا يملك لبس يلبسه!

لذا فنحنُ مطالبين أن نستفرغ الوسع في نصر الإسلام في أي بلد، وأن نجاهد أنفسنا ونبحث عن

أي شيء ممكن أن نعمله، ونسأل أنفسنا هل يوجد شيء أستطيع فعله ولم أفعله؟ وحينها قد نتفاجأ بأن هناك أشياء كثيرة نستطيع أن نفعلها لم نُفكِّر بها من قبل.

8. حماية جناب التوحيد بدعوة المسلمين لإسلامهم.

المسؤولية الثالثة تجاه العالم هي أن نحمي جناب التوحيد بدعوة المسلمين لإسلامهم، فنحن نرى مقابلات في قرى مصر أو جنوب المغرب أو صحراء ليبيا أو غيرها حيث يذهبون لهم ويسألونهم أسئلة مثل: من نبيك؟ فيقول: اللهم صلِّ وسلم عليه، فيعيد السؤال: ومن هو؟ فيقول: اللهم صلِّ وسلم عليه، فيعيد السؤال: ما اسمه؟ فيقول: معرفش!

وعندما يعطيه خيارات فيقول: اسمه موسى؟ عيسى؟ أو محمد؟ فيختار أول اسم! وأنا لا أتحدث عن مقابلة واحدة بل مقابلات موجودة يمكنكم أن تبحثوا عنها وتشاهدوها الآن، نحن نتحدث عن مسلمين ومسلمات عندما يسألها: تعرفين تصلين يا حجة؟ تقول: لا والله ماعرفش!

فيقول كيف لا تعرفين؟ فتقول: إنها كبرت وهي تزرع وتعمل ولم يعلمها أحد الصلاة، وهذه امرأة كبيرة في الثمانين من عمرها وعمرها ما صلت؟

وهي تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فهل تتخيلون أن الله - عز وجل - ممكن يسألنا عنهم؟ وإذا كنت تظن أن لا دخل لك بهم، ففهمك للدين مغلوط!

إذا كنت تظن أن الله لن يسألنا عن المسلمين الذين لا يعرفون دينهم وأننا لم نبلغهم الدين الصحيح فدينك مغلوط!

لذلك تعجبني إحدى أقاربنا حيث كانت امرأة كبيرة دائمًا تتلمس هذه البلدان فكانت دائمًا تسأل عندما ترى موظف مصري أو زوجة موظف مثلًا فتسألها كيف حالكم في مصر؟ كيف القُرى عندكم؟ هل هناك محتاجون؟

وتسأل حتى تعرف مثلًا أن هناك مسجد لم يتم الانتهاء من بنائه أو مدرسة تحفيظ قرآن فتقوم بدعمها حتى يتم الانتهاء من بنائها، وكذلك أيضًا موظف لبناني وزوجته غير محجبة أصلًا وأظنها مسيحية، ولكنها كانت تسألها عن أحوالهم في لبنان وعن المساجد، وهذا الكلام ليس الآن

ولكن منذ ثلاثين أو أربعين سنة! في وقت لم تكُن توجد فيه وسائل التواصل، فكانت تسأل عن أحوالهم في لبنان وإذا كانت ذاهبة لإجازة تعطيها لأجل خالة أو عمة من اللبنانيين فتتعهدهم هناك! فتخيلوا هذه المرأة لديها هذا الاهتمام قبل أربعين سنة!

فعندما نقول إن هذا الأمر فطري حين تكون مسلم أن تحمل همَّ ما يحصل لإخوانك المسلمين سواء في بلدانهم أو هنا في بلدنا في القُرى والهِجَر هناك بِدَع منتشرة لا لشيء إلا للجهل في الدين!

ولهذا يجب علينا أن نحمي جناب التوحيد بدعوة المسلمين في بلدانهم، وهذا ليس في صعيد أو هِجَر فقط بل يوجد أشخاص متمدنين ومثقفين وحملة الدكتوراة يؤمنون بأوهام وخرافات وأبراج وبالطاقة وبتناسق الأرواح وغيرها من الأشياء التي لا يمكن أن تخرج إلا من فراغ روحي وفراغ عقِدي!

فهؤلاء لم يفهموا الدين صحيحًا لدرجة أن يؤمنوا بهذه الأمور كأن يؤمن أن والده كان خنفساء أو أن هذه الخنفساء أو الفأرة هي روح خالته أو روح عمته! فكيف أجّر هذا الإنسان مخه لدرجة أن يؤمن بشيء من هذا القبيل!

9. العمل على دعوة غير المسلمين.

فمنذُ سنوات والفتيات يقومون بإعداد حقائب الصيف وهي عبارة عن بطاقات فيها دعوة عن ركن الحوار وهو مكان لدعوة غير المسلمين، فالتي تسافر إلى إيطاليا تأخذ بطاقات دعوة بالإيطالي والتي تذهب إلى فرنسا تأخذ بالفرنسي والتي تذهب إلى أمريكا أو بريطانيا تأخذ بالإنجليزي وكانوا يضعونها عند البائعات، ولا نعرف ماذا يُمكِن أن يكون أثرها؟

يكفينا أن نعرف أن ركن الحوار لا يقل عن خمسة آلاف مُهتَدِي في كل شهر أو يوم والأعداد تتزايد وهذا لا يُمكِن أن يحدُث إلا من أناس يعملون فيه، وهذه فكرة فقط غير أن تكون أنت بنفسك سفير وتكون قدوة ونموذج وتدعوا غير المسلمين بحالك قبل مقالك،

وأن تُفكِّر هل يوجد شيء آخر ممكن أن أدعوا به غير المسلمين؟ هل أملك متابعين أجانب ممكن أنشر الدين أو القضية من خلالهم؟ هل ممكن أن أعرِّفهم بفكرة التوحيد لا إله إلا الله؟
بالرغم من كثرة تكرارها عندنا إلا أن كل من يدخل الإسلام وغالبًا من النصارى يقولون أدهشتنا فكرة التوحيد! تُدهِشُنا فكرة الواحد!
اليابانيين الدكاترة الذين أسلموا كانوا يقولون: أسلمنا من سورة (قل هو الله أحد) وهذا بروفيسور ياباني ممكن ترجعون لمقابلته مع فهد الكندري في برنامج بالقرآن اهتديت، **كان يقول (قل هو الله أحد)** فكرتها أن المسلمين يعبدون رب واحد فقط، في الثقافة اليابانية ودينهم يعبدون مئات الآلهة!
يقولون كانت تبدو فكرة منطقية، ونحن الآن نتكلم عن بروفيسور يتكلم عما جذبه لهذا الدين، ونحن نرى هذا الدين عظيم ولكن **كما قال أحد المستشرقين: يا له من دين لو كان له رجال!**

10. محاولة رفع الهلاك والعذاب العام.

قال النبي - عليه الصلاة والسلام - حينما يتحدث عن نزول العذاب، فسألته زينب بنت جحش: "يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟!" (يعني لا يزال هناك أناس صالحون أناس يصلون ويصومون) "أنهلك وفينا الصالحون؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام: نعم، إذا كثر الخبث". رواه البخاري.

فكل خطوة تخطوها أنت تُقلِّل من الخُبث وتساعد في رفع الهلاك العام، هذا الهلاك العام الذي قد يكون أي شيء، وجربنا السنتين الماضيتين ماذا فعل بنا فيروس صغير من هذه الأمراض! فماذا لو زاد عن حده قليلًا؟ ماذا لو انتشر الطاعون؟ ماذا لون نزل شيء من السماء؟ وماذا لو حصل مثل ما حصل لقوم لوط وعاد وثمود خسف أو صيحة أو غيرها؟
وكل هذا ليس ببعيد من الظالمين ولكن القضية لها وقت والله - عز وجل - له حكمة في هذا الوقت.

هذه خمسة عشر مسؤولية نحن محمّلون بها، وقد يقول البعض اقتنعت بالأولى والثانية ولكن المسؤولية تجاه العالم مبالغة!

النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". رواه مسلم.

لو تفكّرت في هذا الحديث الليلة وتفكرت في كيف تزيد حرارة الجسم وتشعر بالتعب في كامل جسدك بمجرد حدوث التهاب بسيط في اللوز، وهذا بالضبط هو ما يقصده الرسول - عليه الصلاة والسلام - يتأثر عضو واحد فقط يتآكل جميع الجسم، فلماذا الشعور بتعب في المفاصل؟ ولماذا الحرارة في الجسم؟ لأن كريات الدم الحمراء والبيضاء كلها تعمل للدفاع ضد هذا الالتهاب، فهذا التشبيه يشبهه النبي - عليه الصلاة والسلام - بالمؤمنين في توادهم وتراحمهم، **الشيخ بن باز - رحمه الله - عندما سُئِل عن حديث "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"**، شرح بأن هذا الحديث ضعيف وليس صحيح وإلى آخره، ثم قال: لكن معناه صحيح،

فالذي لا يهتم لأمر المسلمين وينظر إلى نصيحتهم والدفاع عنهم إذا حصل لهم خطر وينصر المظلوم ويردع الظالم ومساعدتهم على عدوهم ومواساة فقيرهم وغير هذا من شؤونهم فليس منهم،

وهذا من باب الوعيد وليس معناه أن يكون كافرًا، **ولذلك يحث النبي - عليه الصلاة والسلام - وكلام الشيخ بن باز - رحمه الله - على التراحم بين المسلمين والتعاون وقد ذكر حديث: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا؛ وشبك بين أصابعه" رواه البخاري. والحديث الآخر: "لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه" رواه البخاري.**

فهذا معناه أنه لا يتم إيمانه ولا يكمل إيمانه الواجب إلا بأن يُحِب لأخيه ما يحب لنفسه، ويقول الشيخ بن باز - رحمه الله - عن الحديث السابق **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ..."**

فجعل المسلمين شيئًا واحدًا وجسدًا واحدًا وبناءً واحدًا فوجب عليهم أن يتراحموا وأن يتعاطفوا وأن يتناصحوا ويتواصوا بالحق وأن يعطف بعضهم على بعض، وهذه كلها تكفي عن هذا الحديث الضعيف، **وذكر في نهاية كلامه في موقع الشيخ بن باز: "والدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله لأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم.**

إذًا لا يوجد لأي واحد منا عذر بأن يقول لا علاقة لي بهذا العالم! أو أن يقول لا علاقة لي بقضايا المسلمين!

فأفضل ما يمكن أن نهديه لأعدائنا هو أن نتحول إلى أشخاص في حدود أقطارهم كل واحدٍ منا مشغول بنفسه ومجده الشخصي وحدوده الجغرافية وأن ننسى إخواننا خارج الحدود وألا نشعر بالانتماء للمسلمين الذين يُعذَّبون في الصين أو الهند أو الفلسطينيين الذين تُقتَحَمُ بيوتهم سواء في الأحياء بجانب القدس أو غيرها، فمجرد الشعور بأنك تعِبت من التفكير بالآخرين وأنك مشغول بنفسك هذا بحد ذاته هدية لهم،

وهذا يُذكِّرنا بالقصة المعروفة عند العرب التي يتواصون بها دائمًا: إنما أُكِلت يوم أُكل الثور الأبيض. فلما أُكل الثور الأبيض استفردوا بالثور الأحمر ثم بالثور الأسود، لم يقدروا عليهم وهم مجتمعين، فلما تقاطعنا وتنازعنا أصبحنا لقمة سهلة!

ولذلك قال الله - عز وجل - في سورة الروم: (الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)(الروم: ١-٤)،

وسبب نزول هذه الآية هو أنه كانت هناك حرب بين الروم وبين الفرس، وكان المسلمين يريدون أن ينتصر الروم لأنهم أهل كتاب وكان المشركين يريدون أن ينتصر الفرس لأنهم على دين شرك

وأصنام، فلما انهزموا جاءتهم البشارة بأنهم سيغلبون، غُلِبَت الروم الآن ولكنا ستغلِب في بضع سنين، إذًا هذا جزء من التحمّل.

وهذه الخمسة عشر مسؤولية من المفترض ألا نخرج من درس اليوم ونحن نشعر بفراغ أو عجز بأننا لا نستطيع أن نفعل شيء، فأنا اليوم وضعت هذه المسؤوليات الخمسة عشر في رقبتك، بمجرد أنك سمعت هذا الدرس فقد أُقيمَت حجة الله عليك، لديك خمسة عشر مسؤولية سي

سألك الله - عز وجل - عنها وماذا فعلتَ بها، ومن المفترض أن يسعى الإنسان ما استطاع، **قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن:١٦)،**

وقد تقول أن هذا كثير! فأقول لك تخيل النبي - عليه الصلاة والسلام - عندما نزل في جاهلية جهلاء وفي أهل الشرك الذين نظر الله - عز وجل - إلى عربهم وعجمهم فمقتهم إلى كل أهل الأرض في تلك الجاهلية، مقتهم الله - عز وجل -

إلا بقايا من أهل الكتاب، وعلى مثل هؤلاء الناس الذين مقتهم الله - عز وجل - نزلت النبوة على النبي - عليه الصلاة والسلام - فنزل فيهم نبيًا يدعوهم إلى عبادة الله، ستقول هو نبي! ولكن ما كان الأمر بهذه السهولة!

النبي - عليه الصلاة والسلام - **لم يؤمِن به إلا أناس معدودة وعلى تخفٍّي**، ودائمًا تسمعون وكنتُ رابع الإسلام وكنت سادس الإسلام، يعني كانوا أربعة مرت سنتين ولم يؤمِن إلا أربعة! علي وخديجة وأبو بكر، فتمر به شهور ولا يؤمِن به أحد، وتمر سنتين وما يؤمِن به أحد ثم يؤمِن بلال ويؤمن ابن مسعود يؤمنون على قلّة واستخفاء،

ولم يكُن النبي - عليه الصلاة والسلام - يقدر أن يُعلِن بذلك حتى نزلت سورة المدثر، فكم مضى على النبي - عليه الصلاة والسلام - بهذا النوع من الجهل ومن المحاربة لدعوته؟ سنة؟ سنتين؟ وقل لي أنت كم تتحمل من كلام الناس؟ كم تتحملين من تعليقات الناس على نقابك؟ سنة؟ سنتين؟ ثلاثة؟

تخيلوا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يمشي في الحج وهو رسول الله وهو محمد الأمين كما كان يُلَقَّب، وعمره فوق الأربعين سنة وكان يمشي بين خيام الحج يقول من يؤويني لأُبلِّغ دعوة ربي؟ هل تتخيل هذا الموقف؟؟

إلى أي مدى بلغ الرسول - عليه الصلاة والسلام - يمر بينهم في السنة التاسعة والعاشرة، تسع وعشر سنوات وهو يمر على الخيام ويقول: من يؤويني لأبلغ دعوة ربي!

ويمضي على ذلك ثلاثة عشر سنة، فهل تصبر كل هذه المدة؟؟ هل تصبر على التنمّر ثلاثة عشر سنة؟ وليس مجرّد تنمر، اعتداء بالكلام حتى عمّك الذي من شحمك ودمك يمشي وراء النبي - صلى الله عليه وسلم - والنبي يتكلم وهو يشير بإصبعه عليه أنه مجنون لا تسمعوا له!

وكانت العرب تقول: أهل الرجل أدرى به، فإذا عمّه يقول كذا يعني هو كذا فأهل الرجل أدرى به! فمن يصبر على كل هذا الأذى؟

ثم يذهب إلى المدينة ولم يكُن الأمر سهلًا فهناك يهود ومنافقون ثم كانت هناك معركة بدر وأُحُد إلى آخر السيرة المعروفة،

فعندما نعرف أن هناك أُناس تحملوا هذه المسؤولية، وحتى المعاصرين مثل الإمام أحمد الذي عاصر شيء غير سهل، عاصر ثلاث خلفاء على بدعة كانوا يريدون أن تُمَرَّر إلى العالم الإسلامي من المغرب غربًا إلى حدود الصين شرقًا،

أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله - عز وجل-! فتخيلوا أن كل العالم الإسلامي يُجبَر على أن يقول بهذه البدعة فقط لأن الخليفة اقتنع بها ثم اقتنع بها الخليفة الذي بعده ثم الذي بعده، وهذا بسبب أهل البِدَع الذين كانوا مستقلين على بلاط الخليفة أقنعوه أن القرآن مخلوق حاله كحال الشجر وأن القرآن ليس كلام الله - عز وجل -!

فلو أنهم سكتوا لوصلت إلينا هذه البدعة ووصل الإسلام مشوَّه ولفُقِدَت الكثير من العبادات وفُقِد النظر إلى القرآن أنه كلام الله - عز وجل - وأصبح مخلوق مثل أي شيء مثل الشجرة مثل الطاولة مثل الكرسي، وصُودِرَت عن القرآن هذه الفكرة الروحانية وأنه كلام الله - عز وجل - وأنه مُلزم بشرعه، فتخيلوا أن الذي قفز في كل من المغرب غربًا إلى الصين شرقًا هو الإمام أحمد!

فوق الستين سنة يُجبر ويُعذَّب ويُجلَد على صدره ويُصلَب ويتعاقب عليه ثلاثة خلفاء وهو صابر ولم يتراجع عن ذلك، وهو صابر ولم يتردَّد ولم يستطيعوا قتله لأنهم كانوا يريدونه أن يقول: إن القرآن مخلوق، وبقوله سيقول كل الناس أن القرآن مخلوق،
وسيموت هذا الدين ويُصبِح القرآن محرَّف مثل النصارى والتوراة والإنجيل وغيرها، فتخيلوا لو لم يثبت وتخيلوا لو لم يتحمَّل المسؤولية!
فبعض الأئمَّة كانوا يقولون بأنه مخلوق إنقاذًا لأرواحهم مع معرفتهم بأن هذا الكلام غير صحيح، ولكن الإمام أحمد لم يقُل ولم يُوَرِّي ولم يُداهِن في هذه الكلمة، بل القرآن كلام الله - عز وجل -، فائتوني بآية من القرآن تقول بأنه مخلوق!

وكان يحججهم على ذلك سنة وراء سنة، فلو لم يقف الإمام أحمد بعد الله - عز وجل - وبتثبيت من الله - عز وجل - لدرِّس هذا الدين!

ولذلك يقول العلماء ثبَّت الله - عز وجل - هذه الأمَّة بأبي بكر في حرب الرِّدة والإمام أحمد في فتنة خلق القرآن،
وهذا نموذج من تحمّل هذه المسؤولية، وعندما نتحدث عادةً عن الكتب التي تتحدث عن علو الهمة والإصرار فغالبًا ما يتم الحديث فيها عن إبراهيم لينكون أو حتى هرتزل الذي أسس الدولة الصهيونية لأنه أحيا دولة كانت لغتها مُندَثرة،
فاليهود لم تكُن لديهم لغة، لغتهم العبرية لم تكُن معهم فقد كانوا منتشرين في الأرض ولم يملكوا مقومات أن يكون لهم وطن، ومع ذلك بالحيل والكيد ومكر الليل والنهار فعل ذلك!

فعندما يكون لديك فكرة أنت تتحملها وهذا ما نتكلم عنه أنك تتحمّل المسؤولية، هذا فعل أهل الباطل نحو باطلهم وتحملهم مسؤوليتهم فكيف يجب أن يتحمل أهل الحق ذلك؟

عزيزة عباس عصفور، اسم قد تعرفونه وقد لا تعرفونه، لكن هذا اسم مهم في الحياة المصرية، فعندما ابتدأت فكرة الجامعات المختلطة في بدايات التعليم في مصر، ومصر من أوائل البلدان القديمة فلما كان التعليم منفصل البنات مفصولون عن الأولاد إلى أن أصبح التعليم مختلط، ولكن لم يقبل الجميع بذلك، إن واحدة من الذين سطرهم التاريخ اسمها عزيزة عباس عصفور، فاقرؤوا عنها كانت من الطالبات المتفوقات جدًا وكانت أديبة وصاحبة مقال تُنشَر مقالاتها في الجرائد،

فلما عرفت عن هذا وكانت من أسرة محافظة وأسرة عريقة رفضت أن تدرس في هذا المكان المختلط، وبدأت تراسل وزير التعليم والجهات المعنية وبدأت تكتب في الجرائد مقالات أدبية رصينة رائعة وتستثير فيها،

وما كانت قط تتكلم عن مشاعر وكانت تأتي بحقائق علمية من كل مكان، وتأتي لماذا يجب أن يكون التعليم منفصل،

الآن في هذا الخضم كله، كانت رسائلها ومقالاتها والكتب التي تكتبها وهي للتو أنهت المرحلة الثانوية، أي أنها في الثامنة عشرة من عمرها ومقبلة على الجامعة،

وعندما عرفت أن الجامعة لا يمكن أن تكون إلا بهذه الطريقة بدأت بكتابة المقالات ودخلت الجامعة وهي لا زالت مصرة على الحرب التي تخوضها والشابات والشباب من مصر ساروا على نفس فكرها وفي سوريا وغيرها لأنهم لم يرضوا بالفكرة ولم يسلموا لها من البداية،

فالنتائج ليست هي الأهم، وما أريد إيصاله هو أن لا يكون تركيزنا على ما انتهت له الأمور، فالله - عز وجل - سيسألك عما فعلت أنت وماذا كان دورك وكيف قاومت، سيسألنا نحن ماذا فعلنا وماذا كانت أدوارنا، ويبين لنا الحقيقة لأن الوقت الذي يكون

فيه غبار لا أحد يستطيع أن يرى الصورة صحيحة ولكن الذين لديهم نور من الله - عز وجل - ولديهم بقايا علم شرعي يستطيعون أن يروا الأمر بطريقة صحيحة.

وأختم بخمسة نقاط أخيرة عن كيف نتحمل المسؤولية، فقد يقول البعض أن هذه الخمسة عشر مسؤولية ثقيلة ولا قدرة لديه عليها.

أولًا: ليس لأي مؤمن انطلاقة من نفسه، انطلاقتنا الأولى يجب أن تكون من المحراب، هذه الحقيقة،

أول ما يجب عليك فعله هو أن تصلي ركعتين وتسجد سجدة تقول فيها: يا رب بارك لي في عمري ويا رب استعملني ولا تستبدلني ويا رب اجعلني مباركًا حيثما كنت وادعُ الله - عز وجل - أن يرزقك حياة مباركة مضاعفة لا تنتهي حين موتك،

فهناك فرق بين إنسان يعيش لنفسه ويموت لنفسه وإنسان يعيش من أجل رسالة أكبر وهم أكبر فلا يموت إلا كبيرًا، ولذلك انطلاقتنا الأولى ليست قرار شخصي من نفسك فقط، انطلاقتنا الأولى يجب أن تكون في سجدة من المحراب.

ثانيًا: تحمّل المسؤولية أن تشحن نفسك بعلم شرعي،

فيجب الآن أن نكون وصلنا إلى قناعة أننا نحتاج إلى حِلَق للعلم الشرعي ونحتاج أن نحفظ القرآن بتفسيره ونعرف ماذا يريد الله - عز وجل - منا،

ولا نحفظه فحسب بل ونتدبره ونتعلمه، ونحتاج لأن نراجع الأحاديث النبوية لكي نفهم هذا الدين بشكل صحيح ونحتاج لأن نفهم سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومواقفه لكي نعرف كيف نعيش هذه الحياة،

فإذا سألك أحدهم: **ما الذي يمنع المرأة أن تكون إمامًا في الحرم؟** وطلب منك دليل من القرآن، فماذا ستقول؟ لا أعرف؟ كيف لا تعرف الحكم الشرعي في ذلك! أم تقول إنك تشعر بأن هذا الأمر غير صحيح؟

لا ينفع هذا الكلام ولن يثبتك ولن يثبّت غيرك ولن يُهدئ جشع الأسئلة إذا لم تكن تملك جواب ولا دليل، ولذلك يجب عليك أن تشحن نفسك بالعلم الشرعي في هذا العالم المختلط المفاهيم.

ثالثًا: نتحمل المسؤولية بأن يكون لدينا القليل من المشاعر، نفرح ونتألم،

نفرح عندما يحدث شيء مُفرِح عندما تنتصر غزة أو ينتصر الفلسطينيين في معركة من المعارك ولو كانت قليلة، وأيضًا نفرح إذا أسلم شخص أو مئة شخص، ونتألم إذا مات إخواننا أو عُذِّبوا في أي بلد من البلدان فقط لأنهم يقولون لا إله إلا الله، نتألم لذلك لأننا مأجورون حتى على هذا الألم، ونُشرِكُهُم في دعائنا، فالأيام تدور!

ويوم من الأيام الذي يظن أن الحياة ستكون دائمًا برغد العيش لم يعرِف، فنحن لا نتحدث عن جيل لم نَرَه، نتحدث عن خالي وخالتي وجدتي كانوا يعيشون حياة يلبسون فيها الثوب لشهرين أو ثلاثة لا يغيرونه لأنهم مشغولون بالتنقل من مكان إلى مكان، فهذه حياة عايشنا أطرافها ما زالوا أحياء، فالدنيا قد تدور في أي وقت.

رابعًا: نتحمل مسؤولية في ألا ننتظر توكيل من أي أحد، فممن تنتظر أن يأتيك خطاب توكيل لكي تعمل من أجل الإسلام؟ لا أحد سيعطيك توكيل!

اعمل لدين الله - عز وجل - كأنك جندي من جنوده، جندي مجهول يدافع عن الإسلام بكل نفس كأنك جندي كل فرقته لم يبقَ منها أحد إلا هو، فقد ينسحب وقد يقاتل على آخر رمق،

ولذلك يقول أحدهم: أقِم هذا الدين كأنك الوحيد، أقم هذا الدين كأن الوحيد من ثغرِكَ يؤتى ومن جبهتك ينتصر كأن الإسلام موقف على إسلامك أنت فقط،

على الستين سنتيمتر التي تشغلها أنت، أقِم هذا الدين كأن العدو ينتظر عينك أن ترف لكي يأتي، المطلوب منك أن تُحامي عن الإسلام من جهتك فقط.

خامسًا: رقِّ نفسك في المدارج، ولا تعِش بين الحفر، لا ترضَ أن تختار الأسهل وتكون في الحفرة،

فعندما ترى الجبل عالٍ وترى إنسان يتسلقه ويدعوك أن تتسلق معه فلا تقُل: القمة بعيدة والطريق مُتعِب،

فعندما تصل للأعلى وتشم الهواء النقي وترى المطل البديع ستجد أن الموضوع يستحق الجهد،

فلا تعِش بين الحُفَر دائمًا في الأسفل وترضى أن تموت وأنت في الأسفل عند الخط الأخير، حاول أن ترقى بنفسك في المدارج، وقيمة كل إنسان هي ما ينويه،

ولذلك كثير من الصحابة والعلماء يتحدثون عن أن النية تبلغ ما لا يبلغ العمل، فليس من المهم أن ترى ما فعلته إنجاز،

فمثلًا في قصة محمد الفاتح وفي تفاصيل الحدث، كل الأحداث كانت معاكسة له، جيشه ينكسر عند أسوار القسطنطينية مليون مرة ويُقتَل من جيشه الآلاف، في كل المعارك كان يبدو إن المعركة خاسرة،

فحاول أن يحفر ويضربها بالقنابل، انفجر المدفع عنده، حاول أن يحفر أنفاق من تحت السور فاكتشف الصليبيين من الداخل أن هذه الأنفاق تُحفَر فسكبوا عليهم مياه النار!

أرسل ما يُقارب مئة وأربعين سفينة لتهاجم أربعة سُفُن ومع ذلك تغلَّبت السفن الصليبية على مئة وأربعين سفينة من السفن المسلمة!

كل المؤشرات كانت تقول إنه انهزم وكان الجيش ينظرون إليه أن انهزمنا فلنستسلم ونرجع، لكن عندما يريد الإنسان أمرًا ويتحمَّل مسؤولية أمة، ويكون حاضر في ذهنه **حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" لتفتحَنّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها". رواه أحمد، وضعفه الأرناؤوط.** فلا يقدر أن ينام تلك الليلة، ولذلك فالسفن التي تمشي في البحر مشَّاها على البر بفكرة لم يعرِف التاريخ مثلها! فعندما تكون صاحب فكرة وصاحب مسؤولية ستحاول أن تدافع عن فكرتك إلى أن تموت،

ولذلك تحمُّل المسؤولية ينطلق من محرابك في سجود، وأن تشحن نفسك بعلم شرعي لأن الحماس وحده لا يكفي،لا يكفي أن تفرح وتتألم لواقعك الذي تعيش فيه وتعلم أنك طرف فيه سواء سلبًا أو إيجابًا، يجب ألا تنتظر توكيلًا من أحد وتنصب نفسك جندي مجهول يدافع عن حوزة الإسلام بالغالي والرخيص، رقِّ نفسك في المدارج ولا تعِش في الحفر لأن ديننا ليس أقل من لعب كرة! انظر إلى لاعبي الكرة كم يتدربون ليل نهار لكي تقوى عضلاتهم، والله إن ديننا ليس أرخص من لعب كرة! فلماذا لا نبذل هذا الجهد؟؟

أختم بكلمة للقاضي بن شداد، وهو المسؤول عن تربية صلاح الدين، **يقول القاضي بن شداد عن صلاح الدين: كان - رحمه الله - عنده من أمر القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال وهو الوالدة الثكلى يجول بنفسه من طلب إلى طلب، يعني من جيش إلى جيش، ويحث الناس على الجهاد ويطوف بين الطلاب بنفسه وينادي يا للإسلام، وعيناه تذرفان من الدموع،**

فعندما نقول عن صلاح الدين أنه فتح الأقصى وأعاده بعد ما يقرب من قرن وهو يرزح بين الصليبيين، هذا الذي فعله هذا الإنجاز الكبير كان فيه هم عظيم،

وبعد أن حرّر المسجد الأقصى وأعاد القدس وحرر يافا وعكا وحيفا، هل وقفت همته هنا؟ لا، نظر إلى الشاطئ يومًا من الأيام بعد أن طهر الساحل من كل الصليبيين، خاض بفرسه البحر والتفت إلى القاضي بن شداد والتفت إلى البحر المتوسط أمامه

وقال: أما أحكي لك شيئًا في نفسي؟ قال: إنه متى ما يسّر الله لي فتح بقية الساحل، قسّمت البلاد، ووصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائره، واتبعتهم (أي الصليبين) حتى لا يبقى على وجه الأرض من يكفر بالله، أو أموت!

فهو لم يكتفِ بهذا الإنجاز الكبير من فتح القدس وتوقف عند ذلك، ولا كما يُصوّر الإعلام القضية أنهم طُلاب أموال وغنائم، لا، بل يقول إنه متى ما حرر البلاد سيعطي كل منطقة لأمير من الأمراء، وسيوصي ويودع ويركب البحر إلى جُزره، ينظر إلى البحر المتوسط

وهو لا يعلم ماذا يوجد وراءه ولا يعرف عن قارة أمريكا بعد! يريد أن يخوض هذا البحر بفرسه ويتّبع الصليبيين إلى أماكنهم حتى لا يبقى على وجه الأرض من يكفر بالله - عز وجل-، أو يموت!

وهذه حياة إنسان كان من الممكن أن نتخيل أن يرضَى بتحرير القدس ولكنه لم يرضَ بذلك، فهذه هي المسؤولية التي نتحدث عنها والتي سيسألنا الله تعالى عنها.

هذه خمس مسؤوليات وضعتها في رقابكم وأسأل الله أن يعينني وإياكم على حملها وأدائها وأن يجعلني وإياكم مباركين حيثما كنا،

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدّة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخل بروح المحاضرة ومعانيها